الجفاف مشكلة عالمية

أ.م.د. حسين عزيز محمد
كلية الزراعة – جامعة ديالى

يعد الماء أساس الحياة فهو يمتلك من الصفات الفيزيائية والكيميائية والبايلوجية ما يجعله ضرورياً لكل كائن حي ، إضافة الى أن للماء دوراً أساسياً في نمو وتطور الحياة المدنية باستغلاله في الصناعة وتوليد الطاقة الكهربائية والسياحة ، وحيث ان المصادر امائية لأي بلد وفي أي وقت تعتبر من ركائز الثروة الوطنية وتمثل أساساً مهماً في صنع الحياة بشتى أشكالها وضماناً لاستقرار ديمومتها ، إلا ان اكسير الحياة هذا اصبح لا يلبي الحاجات المتزايدة له وأصبحت كميته تقل تدريجياً وبصورة منتظمة الامر الذي أدى الى حدوث موجات جفاف متعاقبة ، ورغم أن أسباب نوبات الجفاف هذه وانحسار الأمطار في كثير من دول العالم لم تعرف أسبابها بدقة ، إلا أنه يمكن القول بأن ارتفاع حرارة الجو نتيجة للأنشطة البشرية المختلفة وانحسار الغطاء النباتي في المناطق الجافة وشبه الجافة نتيجة إزالة آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية أثر بصورة مباشرة على العمليات الجوية المسببة للأمطار .

يفقد العالم سنوياً حوالي ٦٩١ كم ^{٢} من الأراضي الزراعية نتيجة لعمليات التصحر ، ويخلق التصحر جواً ملائماً لتكثيف حرائق الغابات وأثاره الرياح المترية مما يزيد الضغوط الواقعة على اكثر موارد الأرض أهمية الا وهو الماء .

ففي السودان على سبيل المثال يتقدم خط جبهة التصحر بمعدل ٩٠ كم في السنة وتتملح ١ % من الأراضي المروية في العراق سنوياً نتيجة تقدم الجفاف ، ومن الأمثلة الحية للتصحر ما يعانيه الصين حالياً ، واكثر أجزاءها عرضة للجفاف هي الأجزاء الشمالية ، وتهدد العواصف الترابية بابتلاع قرية لانجاوشان التي ستبدأ أول بيوتها في الاختفاء تحت الرمال في خلال عامين وتزحف الرمال نحو القرية بمقدار ٢٠م في العام الواحد ، وهذا ثمن إزالة الأشجار والرعي الجائر ، حيث أصبح نمو الصحراء في الصين ٢٠٠كم في السنة . وفي السنوات العشرين الماضية تعرض كثير من بلدان أقليم الشرق الأدنى لفترات طويلة من الجفاف ، فقد عانت المغرب وتونس وقبرص موجات جفاف متعاقبة . وان 24 بلداً في افريقيا يأتي في مقدمتها أثيوبيا والصومال وكينيا وجيبوتي تواجه أزمة غذائية بسبب الجفاف مما أدى الى هجرة أصحاب الأراضي المتصحرة داخلياً وعبر الحدود ، مما ادى الى زيادة الضغط على الأراضي الزراعية في البلاد المستقبلة .

وبدأت الأجواء في القارة الأوربية تتأثر بمسألة الجفاف حيث تعاني الكثير من دول جنوب أوربا موجة حر شديد يرافقها انحباس الأمطار ففي ايطاليا أثر ارتفاع درجات الحرارة وانخفاض كمية المتساقط من الأمطار سلباً على المحاصيل الزراعية شمال البلاد ، وتعتبر منطقة بيمونت من أكثر المناطق المتضررة من موجات الحر حيث انخفض منسوب المياه في نهر (لانجو مغيوري) بمعدل ١٩ سم ، كما يعاني نهر (بو) وبحيرة الكاردازية (Gardasee) من نقص كبير في المياه .

وفي اسبانيا أعلنت سبع مناطق على سواحل البحر المتوسط عن تعرضها لجفاف حقيقي وتقوم السفن يومياً بنقل المياه من أقصى شمال البلاد الى المناطق المتضررة في ٨٩٠ قرية من أقليم كاتالونيا على البحر المتوسط . بيد أن هذا الجفاف لا تعاني منه ايطاليا واسبانيا فقط ، فقد سجلت مؤسسات المياه الوطنية في البرتغال أن ٨٠ % من أراضي البلاد تعاني الجفاف وهذا ما أثر بشكل سلبي على الزراعة وخاصة محاصيل الحبوب الأمر الذي أدى الى انخفاض حجم الناتج القومي ، ولقد بلغ عدد المتضررين بشكل مباشر ٢٦ ألف مواطن حسب الدوائر الحكومية . وتزداد المخاوف الفرنسية من موجة الجفاف ، لذا عملت حكومة باريس على إعداد مشاريع خاصة لمواجهة ذلك ومن بينها تطبيق قوانين صارمة لتوفير المياه في ٢٨ دائرة غربي البلاد .

وجاء في تقرير في المؤسسة العالمية لمكافحة التصحر الكائن مقرها بمدينة جنيف السويسرية أن عشرة أنهار في العالم سوف تعاني من تناقص منسوب مياهها بصورة كبيرة ومن هذه الأنهار نهر الدانوب في أوربا ونهري ريوجراندي ولابلاتا في الأمريكيتين وأنهار اليانج تسي والميكونج والسالوين والكنج في آسيا ، ومواري دار لينج في استراليا ، وأضافت المؤسسة أن نقصان مياه هذه الأنهار يعود بالدرجة الأساسية الى موجات الجفاف المتعاقبة وسوء التخطيط البشري . وتشير التقارير الدولية الى أن حوالي ٣/١ (ثلث) مساحة اليابسة في الكرة الأرضية أي ما يعادل ٤ مليارات هكتار مهددة بالتصحر وأن ٧٠% من اجمالي مساحة الأراضي المستخدمة للزراعة في العالم تضررت بدرجات متفاوتة من التصحر ، وأن حوالي ٢٥٠ مليون نسمة من سكان العالم يعانون بشكل مباشر من التصحر . بالإضافة الى أن الجفاف يهدد معيشة أكثر من مليار نسمة (خمس سكان العالم) من الذين يعتمدون على الأراضي الزراعية لتلبية احتياجاتهم وأغلبهم من الفقراء وذلك في أكثر من ١٠٠ دولة في العالم .